Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهمه كلّه، ويستحيل الاستخفاف به كل الاستحالة.

ولا ريب أن الحساسية الإستثنائية تجاه البيئة هي السمة المميّزة الأُولىٰ التي نلاحظها في كيبلنغ، بحيث أننا نستطيع، على أحد المستويات، أن نتتبّع مساره عن طريق الظروف الخارجية. أمّا ما كانت الحياة خليقة أن تصنع من أمثال هذا الرجل لو حدث ميلاده، ونشأته، ونضجه، وعمره، ضمن مجموعة واحدة من الظروف، فذلك فوق طاقة التخمين: فمن حيث كانت الحياة توجهه، كان لا بدّ للنتيجة أن تمنحه انفصالاً وابتعاداً عن كل بيئة، وغربة عالمية هي الجانب المعكوس لإحساسه القويّ تجاه الهند، وتجاه الامبراطورية، وتجاه انكلترا، وتجاه سسكس، وهو ابتعاد كأنه ابتعاد زائر من كوكب آخر، ذكي بصورة مخيفة، وهو يظل غريباً على نحوٍ ما، بمعزل عن كل ما يحدّد به هويته. على أن القارىء الذي يستطيع أن ينأىٰ عنه مسافة قصيرة ــ ولكن بغير عمق كاف ــ تحت مستوىٰ شعبية كيبلنغ راوي الأقاصيص ومنشد القصائد الغنائية، والذي كان يتمتع بإحساس غامض بشيء ما أبعد من ذلك في العمق، هذا القارىء خليق أن يعطي التفسير الخاطىء لعدم ارتياحه الخاصّ به. لقد كنت أُحاول زعزعة العقيدة القائلة إن كيبلنغ إنما هو مجرد كاتب أُغنيات مقفّاة[1]: ويجب علينا الآن أن ننظر، أو تكون هذه الأُغنيات المقفّاة «سياسية» بمعنىٰ مشوّه للسمعة؟.

على أن ولادته بالهند، وإنفاقه السنين الأُولىٰ التي يذكرها هناك، ظرف له أهمية بالغة بالقياس إلى طفل يتمتع بمثل هذه القابلية للتأثر، كما أن إنفاقه سنوات ما بين السابعة عشرة والرابعة والعشرين في كسب معيشته هناك، خبرة هامة أيضاً بالقياس إلى شابّ بالغ اليقظة والملاحظة. والنتيجة، فيما يبدو لي، أن هناك طَوْران لتقدير كيبلنغ للهند، طور الطفل، وطور الشاب، وكان الأخير هو الذي كان يلاحظ البريطانيين في الهند، ويكتب الأقاصيص المتسمة بشيء من الحدّة والغروز، عن

---

(١) Jingles.